

أبوراس الناصري ورحلاته المغربية والمشرقية أواخر العهد العثماني
Abu Ras al-Nasiri and his Moroccan and eastern trips at the end of the Ottoman era

بلعربي عبد القادر

جامعة قسنطينة 3 (الجزائر)، abdelkader.belarbi@univ-constantine3.dz

تاريخ النشر: 2022/05/05

تاريخ القبول: 2022/04/24

تاريخ الاستلام: 2022/03/10

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى التعريف بشخصية أبي راس الناصري الذي يعتبر من أهم المؤرخين في الجزائر خلال العهد العثماني، ولا يمكن لنا أن نكتب تاريخ عن الجزائر العثمانية دون الرجوع إلى كتاباته، حيث سوف نتطرق لحياته العلمية والمعرفية وأهم الظروف التي ساهمت في بناء شخصيته، كما نتطرق إلى رحلاته المشرقية والمغربية وأهم المحطات التي وقف عليها أبي راس الناصري، فقد تناول موضوعات كثيرة فتحدث عن العلوم والأدب في المدن والمراكز العلمية التي زرها، إذا ساهمت الرحلة في التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربي حيث أصبح الرحال بمثابة مبعوث وحلقة اتصال علمي إلى المشرق ومظاهر نشاطه وأحواله.

كلمات مفتاحية: أبوراس الناصري، الجزائر، الرحلة، العهد العثماني، الحجاز.

Abstract :

This research paper seeks to introduce the personality of Abu Ras al-Nasiri, who is considered one of the most important historians in Algeria during the Ottoman era. We cannot write a history about Ottoman Algeria without referring to his writings. We also touch on the most important of his eastern and Moroccan trips and the most important stations that Abi Ras al-Nasiri stood on. My knowledge to the Orient, the manifestations of its activity and its conditions.

Keywords : Abu Ras al-Nasiri, Algeria, the journey, the Ottoman era, the Hijaz.

مقدمة:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني تنقلات وتبادلات علمية وثقافية للعلماء بين البلدان المغربية والمشرقية، فكانت الرحلة إلى هذه الأقطار من طرف العلماء الجزائريين أمرا ضروريا خاصة العهد العثماني، حيث أصبحت الرحلة ظاهرة منتشرة للعلماء والفقهاء الجزائريين نظرا لعدة اعتبارات، ومن أهم النماذج من العلماء الجزائريين "أبوراس الناصري" موضوع هذه الدراسة، حيث زار العديد من البلدان المشرقية والمغربية وكانت له اسهامات عديدة في ذلك، وعليه ماهي أهم رحلات أبوراس الناصري لبلاد المشرق والمغرب؟ ماهي العوامل التي ساهمت في بناء وتكوين هذه الشخصية؟ وماهي أهم محطاته؟

1. ترجمة لأبي رأس الناصري:

1.1. مولده:

ولد أبوراس الناصري الراشدي المعسكري سنة 1165هـ/1737م بقلعة بن راشد قرب مدينة معسكر بجبل كرسوط⁽¹⁾ بغرب وادي التاغية بجبل هونت (موصدق، 2009، ص.348)، يقول أبو راس عن مولده: "... لما ولدت بالموضع المار حملتني أمي إلى الشيخ الصالح الولي شيخ بعض شيوخ الشيخ علي بن موسى البوطي أحد الصلحاء فبارك علي وأخبرني عن خوارق وعادات تكون لي مودات من علم وعمل وصلاح وشيخ وطلبة ولفيف ودرس وخطابة وقضاء وتصنيف، فكان كما قال في إشارته الغيبية"، ويقول أبوراس أيضا ولدت بعد المغرب ليلة الأحد مثل رحب الفرد وذلك سنة تسعة وأربعين ومائة وألف" (الناصرى، 1990، ص.184)

2.1. نسبه:

اسمه الكامل محمد أبوراس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الناصر الجيلالي المعسكري الجزائري، وهناك من يدعوه أبوراس محمد بن عبد القادر الراشدي نسبة للراشدية⁽²⁾ (الجيلالي، 1999، ص.575)، وبذلك يرجع نسبه إلى عمرو بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وفاطمة الزهراء بنت الرسول (ص) (الجيلالي، 1999، ص.71)

3.1. نشأته:

عاش أبوراس الناصري فقيرا يتيما توفيت أمه ثم أبوه فكفله بعدها أخوه الأكبر (أبو عمران، 2007، ص.89) رحل إلى المغرب الأقصى وبعد عودته منها ذهب أبوراس إلى منطقة القيطنة بمعسكر، التي كانت مركزا علميا لدراسة العلوم الشرعية، وبعدها إلى مازونة إذ تلقى فيها العلوم الدينية اللغوية مدة ثلاث سنوات، ثم عاد إلى قريته وتلقى مختلف العلوم على يد عالمها عبد القادر المشرقي (الناصرى، أبوراس، 2002، ص.35)، ويبدو من سيرة أبي راس إن لأخيه الأكبر الفضل في تنشئته يقول عن أخيه: " ثم بقيت بعد أمي في بيت أبي أنا وأخي العارف الماهر السيد عبد القادر رحمه الله، فأتانا أخونا الأكبر الماجد السيد عمر فانقلب بنا إلى المغرب أما أخي فحملني على عاتقه لصغري " (خديجة موصدق، 2009، ص.250).

4.1. لقبه:

لقب بحافظ المغرب الأوسط لمعرفة حفظه، فكانت تقع له بعض المواجهات مع تلامذته فيقول الكتاني: " قد حدثني مفتي وهران تقع الآن الشيخ الحبيب بن عبد الملك المغربي الأصل عن شيخه عالم وهران السيد الحبيب بن البخاري الوهراني عن أبيه، وقد عاصر الشيخ أبي راس أن جماعة من تلامذته تذاكروا بقوة حافظة وكأنهم اهتموه بالاختلاف فركبوا له اسما نطق كل واحد منهم بحرف منه وجعلوه اسما لملك وسألوا الشيخ عنه فأملى له ترجمته وسيرته وأعماله فاتفقوا أن الشيخ كاذب، ولما طالت المدة وفقد أحدهم على الاسم والسيرة في كتاب تاريخي مع نحو ما أملاه الشيخ أبوراس... وهذه حاله كبار الحفاظ مع القاصرين والجاهلين " (الكتاني، 1982، ص.105)

ومن هنا لم يكن أبوراس يترك مناسبة تفوته دون أن يعتمد بهذا اللقب يقول: " واجتمعت بعلماء مصر بالجامع الأعظم وتناظرنا وتذاكرنا في مسائل جهة، ثم قالوا لي: من لقب بالحافظ لابد أن يختص بشيء دون غيره، أنت ماذا تحفظ؟ قلت: أحفظ كذا وكذا من سائر العلوم قالوا: لدينا كثيرا من الناس يحفظ مثلك وأكثر قلت: أحفظ أحكام القرآن كلها وأفهمها قالوا: عندنا كثير من يحفظ حفظا وفهما قلت: أحفظ ألفيه بن مالك ومنظوم البيان ما من باب إلا أفهمها، وفصل إلا أعرف كم عمه من بيت قالوا: هذا لم نر من يحصيه ولا سمعنا به ونحن بمدينة العلم الحاوية كل أمر غريب. (الناصرى، أبوراس، 2002، ص.35)

2. حياته العلمية والمعرفية:

يعد عصر أبي راس الناصري عصر تدهور وانحطاط في الأدب والعلوم، كما أن عصره شهد اضطراب سياسي واجتماعي، وقد استطاع أبوراس بفضل موهبته وعبقريته أن يرتفع عن مستوى عصره الفكري أن يعيد للدراسات العلمية واللغوية مجدها وذلك لكثرة مؤلفاته وشهادات معاصريه العلماء، وللوقوف على أهم جوانب التأثير والتأثر في حياته العلمية والمعرفية يمكن أن نلخصها في ما يلي:

1.2. العوامل المؤثرة في تكوينه العلمي :

كان أبوراس من الذين عانوا، غير أنه لم يمنعه الفقر من مواصلة طلب العلم والرحلة إلى الشيوخ، وإنما اكتسب ثقافة واسعة بانعكافه على المطالعة واتصاله بالعلماء ومواظبته على الحفظ وقد ساعدته في ذلك حافظته (سعيدوني، 2000، ص.50) كانت بدايته بحفظ القرآن في سن مبكرة وتلقيه للعلوم العربية الإسلامية.

يعد الباي محمد الكبير من البايات الذين اهتموا بالكتاب وعملوا على استقطاب العلماء وتقريبهم إليه، فكان يختار من جلسائه العلماء، والأدباء والشعراء، وكانت مجالسه تنظم خاصة في المناسبات والأعياد إذ أنه كان يهتم بأهل الوظائف كالخطباء والأئمة والمؤذنين المدربين (بلبراوات، 2002/2001، ص.72)، كما من العوامل المؤثرة في مساره العلمي فترة حكم الباي محمد الكبير حيث كان لها تأثير وذلك خلال دخله مجال التدريس سنة 1166هـ/1752م، كما أسندت له مهام القضاء تولاها وهو كاره لها مدة سنتين، لكنه عزل من منصبه فيما بعد بسبب الفتن واشتغل مدرسا بالمحمدية التي بناها الباي (موصدق، 2009، ص.252).

2.2. شيوخه:

كانت كثرة المشيخة قديما دليلا كبيرا على تمكن العالم، فأفرد أبوراس بابا في مؤلفه "فتح إله ومنته" سماه في عدة أشياخي" (القايم، 2011، ص.138). وقد عرض فيه أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم يقول: "واعلم أنني ببركة ومحبة أهل الرسوخ واجهت كلا منهم بأداب فأتملت وأمعنت النظر فيما رمز في كتابه وخرج من فيه بإذعان وقبول لتحصيل كل مأمول، فحصلت عند ذلك من حليب

التوفيق وحصّة من ماء التحقيق.. قيل للملك لاسكندر اليوناني أراك تعظم شيخك أرسطو على والدك، فقال والدي سبب الحياة الفانية وشيخي سبب الحياة الباقية" (الناصرى، أبوراس، 2002، ص.36)

ويبدو أن أبى راس اعتمد منهج الترتيب الزمني فيقول: "أول شيوخي والدي الشيخ أحمد قرأت عليه وأول بدئ من سورة: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (القرآن الكريم، سورة الانفطار، الآية 1) وكما جمعت القرآن فأتيت إلى الشيخ منصور الضرير صاحب القراءة المتقنة والأحكام الموقنة (الناصرى، أبوراس، 2002، ص.36).

كما قرأ الفقه على يد الشيخ محمد بن مولاي سحنون قاضي معسكر، كذلك على بن النسبي وانتقل خارج معسكر للأخذ عن الشيوخ ويقول في هذا الصدد: فإذا هو نواله وعلى يمينه بيت الشيخ المشرفي ودرس في مازونة على يد فقهاء كبار منهم الشيخ مصطفى بن هني والشيخ بن برا هيم... وغيرهم (أبوراس، 2005، ص.ص. 14-15)

وتعلم كذلك على يد الشيخ عبد القادر بن دحو فيقول عنه: فقيه نبيه جيد النظر سديد الفهم "... ثم على الشيخ محمد بن صادق بن أفغول شيخ الإسلام ذو الخبرة التامة بعلم الشريعة، كما درس الأدب على أمجد النظار السيد أحمد بن عمار" (أبوراس، 2005، ص.30)

ودرس في مستغانم على يد الشيخ العربي بن قبران وغيرهم، كما درس التصوف على كبار المتصوفة في مازونة مثل الشيخ موسى بن يحي المازوني والشيخ الصباغ القلعي، كمأن أبوراس وهو في طور التحصيل العلمي يرفض حضور بعض مجالس المتصوفة الذين يقولون بالكرامات ويغررن بطلتهم العامة (أبوراس، 2005، ص.15)

3.2. تلاميذه:

بعد شيوخه في العلم وسعته واشتهاره، جلس للتدريب فكان مجلسه مزدحما بالتلاميذ، وقد سأله الولاة العثمانيين قبة المذاهب الأربعة يفتي بها، كما أن بعضهم قد نسب له مكتبة وقدم له كرسيًا يجلس عليه عند التدريس لكثرة التلاميذ ولذلك نجد أبوراس يشيد في كتاباته بولاة آل عثمان وبدورهم الإسلامي (سعد الله، 1990، ص.394)

وقد تتلمذ على يده الكثير من المؤرخين المعروفين منهم تلميذه في الفقه المنقول الشيخ عبد القادر بن السنوسي ويقول في هذا الصدد العلامة الماهر والسكة في علم الظاهر والباطن تلميذنا العارف ابن شيخنا عبد القادر المشرقي ذي السر الخفي (المزاري، 1990، ص.350). وكان أهم من درسهم الإمام والأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري لكفاه فخرا وشرفا واستدعي الشيخ من نواحي شتى ليتولى التدريس، فكانت تأتيه رسائل الاستدعاء في مناسبات عديدة (الجيلالي، 2009، ص.57).

4.2. مؤلفاته و موضوعاته التاريخية :

1.4.2. مؤلفاته:

وصل عدد مؤلفاته نحو مائة وخمسين مؤلف من مختلف العلوم: الفقه، المنطق، اللغة، النحو، الصرف، التوحيد، العقائد، التاريخ، الحساب، علوم القرآن وكتب في التراجم و الأنساب والرحلات (بوعزيز، 2009، ص.174).

وتناول فيها مواضيع متنوعة تدل على ثقافة موسوعية قوامها الفقه والإخبار والتراجم والإطلاع على كتب المتقدمين ولكنها في عصر الشخصيات العلمية تبدو ثقافة تقليدية وعلى ذلك صورة للفكر وإنتاجه في عصره (أبوعمران، 2007، ص.383).

غلب على الشيخ في تأليفه جميعا طابع العصر (أواخر العصر العثماني) فشرح المتن وحاشية الشروح بل جعل للمتن الواحد عدة شروح و اعتمد على حفظه فأكثر في تأليفه من التكرار الاستطراد وذكر الغرائب والعجائب واللطائف تماشيا مع بضاعة عصر معين بل تناول كل التخصصات (سعد الله، 1990، ص.338).

ألف الشيخ في التاريخ والنسب والسيرة واهتم بالفنون في وقت كانت المؤسسة التعليمية تهملها ولا تعني بها وارتبطت العناية بالتاريخ خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر بالحكم العثماني القائم على جند العلماء لصياغة مشروعية تبرر نفوده على المجتمع فظهر عدد من المؤرخين أبرزهم أبوراس حملوا على عاتقهم الدفاع عن المؤسسة السياسية القائمة (أبوراس، 2005، ص.9).

2.4.2. موضوعاته التاريخية:

من الموضوعات التاريخية التي تكلم عنها أبو راس بإسهاب كبير تلك الموضوعات التي عالجهما في ما يلي:

• الاحتلال الاسباني وفتح وهران:

لقى موضوع احتلال الاسباني لمدينة وهران اهتماما بالغاً لكتابات التاريخية للناصري، فموضوع تحرير وهران و المرسى 1792م من الاحتلال الاسباني يكتسب أهمية ذات أبعاد وطنية تتعلق بأسرار المؤسسة العسكرية العثمانية بالجزائر وكذا حلفائها من القبائل العربية البربرية على تحرير آخر شبر من أرض الجزائر من السيطرة الإسبانية وتحقيق الوحدة التي تضمن سيادة الدولة (بلبراوت، 2005، ص.269)، فكان أبو راس يحن للعودة للأندلس إلى أحضان الأمة الإسلامية واعتبر فتح وهران بداية تحقيق تلك العناية. ولعل ذلك الفتح هو الذي حملته على ان ينظر إلى آل عثمان على أنهم ما يزالون يواصلون رسالتهم التي جاؤوا شمال افريقيا من أجلها أوائل القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي والسادس عشر الميلادي. (سعد الله، 2007، ص 389).

• الإشادة بالسلطة والباي محمد بن عثمان:

لقد تناول أبو راس الحديث عن الباي محمد بن عثمان الكبير في العديد من المواقع ولم يخف على الإطلاق مشاعره إتجاهه، فمن خلال كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار نجدده يمجده ويتضح ذلك في قوله: "هو أبو الفتوحات المنصور بالله الطالع السعادة ومستحق السيادة القواعد المعالي مؤسس وشايد وأنارت له الأداني وضاءت التباعد (حمدادو، 2002-2003، ص.109).

3. وفاته:

يقول الزباني عن وفاته: مات بوقته مجدد القرن الثالث عشر ذو التأليف العديد والتصانيف المديدة المانع المحقق العلامة الفرد الحافظ (الزباني، 1978، ص.240). توفي يوم 15 شعبان 1238هـ/ الموافق لـ 17 أبريل 1823 ميلادي، فذكر الشيخ مسلم بن عبد القادر في الأنيس الغريب أنه توفي بمرض الطاعون وتصدر جنازته الشيخ احمد الدايج المتوفي في بلاد معسكر يوم الأربعاء 13 جمادي الثانية سنة 1239 هـ دفن به وعليه ضريح ووقفت عليه (أبوراس، 2005، ص.10)، مات

وعمره جاوز التسعين (حنيفي، 2009، ص.218). ويذكر محقق كتاب الحلل السندسية في مقدمته أنه صلى عليه ألف وخمسمائة ودفن بمعسكر على شاطئ النهر الفاصل بين داخل البلد وقرية بابا علي وعليه بناء مشهور (الناصر، 2002، ص.60).

4. رحلاته:

اشتهر أبو راس الناصري من خلال رحلاته العلمية إلى مختلف الأقطار العربية والإسلامية والتي يمكن أن نميز نوعين من الرحلات فهناك رحلات مشرقية ورحلات مغربية، وقبل الخوض في ذلك لا بد علينا أن نتطرق إلى تعريف الرحلة التي أصبحت ظاهرة في العهد العثماني.

1.4. تعريف الرحلة:

هي انتقال واحد أو جماعة أو عائلة أو قبيلة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة، وهي فن أدبي يعبر الأديب من خلاله عما يعتريه من مشاهدات وخواطر تجمع بين النثر والشعر خصوصا فئة علماء الدين رأوا أن الحج وسيلة لتأدية الفريضة المقدسة ووطأة أرض الحرمين ولقاء العلماء والمشايخ وتحصيل العلم والإجازات بجمع الكتب والمتون (بلعربي، 2017، ص.82).

2.4. رحلاته المشرقية

عرف المشرق العربي اهتماما بالغاً للعلماء بلاد المغرب نظرا لوجود مراكز علمية وثقافية كبيرة، ومن بين هؤلاء العلماء الذين كان لهم تأثير وتأثر بهذا نذكر أبوراس الناصري موضوع بحثنا إذا كانت عدة رحلات في بلاد المشرق ويمكن أن نجملها في ما يلي:

1.2.4. رحلته إلى الحجاز:

تعتبر منطقة الحجاز أولى الرحلات المشرقية لأبي راس الناصري، إذ أن الدافع الرئيسي لهذه الرحلة هو أداء فريضة الحج وتلبية لنداء الرحمان مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (القرآن الكريم، سورة الحج، الآية 27) وأصبح الحج أحد قواعد الإسلام المفروضة على من استطاع حيث قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ﴾ (القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 97)، ولقد

أقبل جمهور من الأدباء العلماء المغاربة لزيارة البقاع المقدسة و أداء فريضة الحج وقد برعوا في وصف رحيلهم وإقامتهم حتى أصبحت كتبهم دليلا لمن ينوي السفر ومرشدا لمن يحذر الخطر

زار أبوراس العديد من الأقطار فحج مرتين وتعرف على أوضاعها واتصل بعلمائها (حنيفي، 2009، ص.219). لقد ألف رحلة سماها بعدة أسماء نذكر منها "عدتي ونحلي في تعداد رحلتي" ومنها فتح إله في منته التحدث بفضل ربي ونعمته"، ومهما كان اسم الرحلة فإن صاحبها قد نظمها في أخبار من لقيه وأخبار شيوخه بالمشرق والمغرب، ولعلها قد ضمنها أيضا حديثا من مشاهداته ومعاشاته في الجزيرة العربية، وقد لاحظ بعضهم أن رحلة أبي راس لا تتحدث عن البلدان وإنما تتحدث عن الشيوخ الذين درس عليهم أو الذين لقيهم صاحبها (سعد الله، 2007، ص.170).

إن كتاب فتح إله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته تذكر السيرة الذاتية في الثقافة العربية التقليدية عناصر وموضوعات متصلة بالنسب العائلي وهكذا يفرد الباب الأول من كتابة للحديث عن نسبه العائلي فلا يتكلم عن طفولته إلا ما يتصل بحفظ القرآن وهو بذلك يسعى إلى إثبات انتباهه وتأكيد انتمائه للنخبة العاملة، ثم يتحدث في الباب الثاني عن أساتذته وشيوخه من المغرب والمشرق، فالتصور الذي يمكن وراءه لائحة الشيوخ هو علم شغله التنقل من أستاذ إلى طالب (غائم، 2005، ص.175).

يقول أبوراس: "ولما ذهبت إلى الحج سنة ست وعشرين لقيت علماء الوهابية الشيخ علي تاسعهم فتناظرنا في صلاة القصر وقراءة دلائل الخيرات⁽³⁾ والتسبيح بالسبحة وهدم مشاهير الأولياء وظني أنهم حنابلة المذهب (الناصر، أبوراس، 2002، ص.64)

عندما دخل مكة المكرمة قال: "... فاجتمعت بعلمائها وفقهائها كالعلامة الدارك السيد عبد الملك وكنت قرأت عليه نبذة من الحديث ونبذة من الكبر وشيئا من التفسير في سورة النور وأجازني بالباقي..." (الناصر، 1990، ص.118)

وأثناء عودته من الحج عام 1205هـ/1791م سمع بالحرب بين المسلمين والإسبان بالجزائر على فتح وهران عاد مسرعا لمساعدة إخوانه في الجهاد حينها ألف كتابه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، ويقول أبو راس أيضا: سئلت بمكة المشرفة عن أصل كل علم وما سبب تدوينه فأجبت بأن القرآن لما نزل كان مفرقا في الرقاع، ولما استمر القتل باليمامة في الردة خاف أبو بكر رضي الله عنه ضياع القرآن فجمعه في الصحف لعلمه بأن ذلك وسيلة لحفظه (الناصر، أبوراس، 2002، ص.46).

يمكن اعتبار رحلة أبوراس الناصري إلى الحجاز من أهم الرحلات المشرقية فعامل الحج هو أحد الأسباب وراء هذه الرحلة.

2.2.4. رحلته إلى مصر:

وفي ثاني محطاته ورحلاته المشرقية كانت للناصرى محطات في البلاد المصرية، فيقول عن نزوله بها: "... لقيت بها العلماء الكبار أهل العلم الأدب والأخبار الإمام الأريضي ... شيخنا المرتضى، ففاوضته في الفنون فوجدته كما يلي فيه من الظنون ورويت عنه أوائل الصحيحين رسالة القشيري ومختصر العين ومختصر الكنز الراقي " وأجازني الباقي.

وتجدر الإشارة إلى أن الناصري ذهب إلى مصر مع عدد كبير من طلبة وعلماء المغرب العربي للأخذ عن علمائها وذلك لوجود جامع الأزهر بناء على شهرته العلمية الواسعة ولوقوع مصر في طريق الحج، فقد كان المغاربة يتوافدون إليها (ذهبية، 2009/2008، ص.350)، اجتمع بعلماء مصر وقد امتحنوه في علمه محاولين إسقاط لقب الحافظ عنه وقد روى ما حدث له: "اجتمعت مع علماء مصر بالجامع الأعظم وتناظرنا في وسائل جمعته فارتفع ذكرى وازداد فخري ... وتتلذذ أثناء حجته 1204 هـ على يد الشيخ المرتضى الزبيدي" أما عن حال مصر فقد ذكر أبوراس حين دخوله مصر أنه عجز عن وصفها لعظم شأنها (حنيفي، 2009، ص.255).

وعلى ضوء رحلته إلى مصر نستشف أن الناصري إلتقى بكبار علماء البلاد المصرية وتتلذذ على يد كبار شيوخها وأصبحت له شهرة واسعة هناك.

3.2.4. رحلته إلى الشام:

ولا يمكن لرحلات المشرقية أن تكتمل إلا بزيادة بلاد الشام إذ تعبر من أهم المحطات العلمية لأبي راس الناصري، وفي الصدد يقول في هذه رحلته: "ثم رحلت إلى الشام فتكلمت مع علمائها ... ولما أردت السفر جمعوا إلي دراهم كثيرة وودعوني وشيعوني" (ذهبية، 2009/2008، ص.252).

ثم دخلت الرملة⁽⁴⁾ التي هي أحد مدن فلسطين ولقيت مفتيها ... ثم رحلت إلى غزة ... ولقيت علمائها وأمرائها فأكرموني ... واعترفوا لي بالفضل والعلم والحفظ" وسألت بالشام عن أصعب مسألة التي تتعلق بالتوحيد فقلت شيخ المالكية استوى على عرش مجيد وقال أيضا سئلت

بالقدس عن الوجدانية فأجبت: وأما حقيقة التوحيد فأعتقد عدم الشرك في الألوهية (الناصري، أبوراس، 2002، ص.45)

3.4. رحلاته المغربية:

بعد رحلات الناصري المشرقية سوف نتطرق في العنصر إلى رحلاته المغربية وما صاحبها من مناظرات ولقاءات مع كبار العلماء والفقهاء المغاربة

وفي رحلته المغربية التقى أبوراس الناصري الطيب بن كيران⁽⁵⁾ وناظره في قوله (ص): "حب إلي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة". وتكلمت مع أديب فاس وعالمها الشيخ حمدون كما التقى محمد بن بنيس، ويذكر ذلك في كتابة عجائب الأسفار من خلال أقواله التالية: "لقيت الفقيه الهواري وكذا الشيخ الزروالي صاحب المعالي"، ويقول: "ولقيت ابن منصور فكأنه في نحو ابن هشام" (الناصري، أبوراس، 2002، ص.42)

وبعد اجتماعه مع العلماء الفقهاء في رحلته المغربية التقى بالسلطان العلوي سليمان وكانت له معه مجالسة علمية في قوله: "ثم حضرت مجلس ذي الخلافة أمير المؤمنين مولانا سليمان أبقاه الله بركة أمنا و أمننا وكان مجلسه رحمه الله لا يخلو من العلم والعلماء تعليما وتعلما" (الجيلالي، 1999، ص.237).

وفي رحلته المغربية تناقش عن مسألة الحدود المغربية الجزائرية فيقول أبوراس: سألني يوما نصره الله عن حد المغرب الأقصى فقلت: قال ابن خلدون: حده وجدة. فقال إن حده تافنة فسكت (الناصري، أبوراس، 2002، ص.43). كما ذهب إلى تطوان وألف كتابا سماه: "روضة السلوان المألوفة بمرسى تطوان" (الناصري، أبوراس، 2002، ص.33).

ولم تكن رحلته إلى هذه الديار من أجل التحصيل العلمي، كما يعتقد بعض المؤرخين، بل كانت المناظرة والتفاوض حول المسائل العلمية والقضايا الدينية فلم تكن مراكز العلم في المغرب الأوسط أقل شأنا من نظيرتها في المشرق.

خاتمة:

ساهمت الرحلات المشرقية والمغربية للجزائريين في تكوين طبقة من العلماء لمعت أسمائهم وذاع صوته في بلاد المشارق والمغرب، إذا كانت لهم إسهامات عديدة في الفقه والتصوف واللغة... وغيرها، فكانت كتب الرحلة من الكتابات المصدرية في تلك الفترة، إذ تعتبر الرحلة من أهم مصادر كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني ومن نتائج هذه الورقة البحثية:

- تعددت رحلات أبي راس الناصري مشرقا ومغربا ونالت منطقة الحجاز اهتماما بالغا بها.
 - غلب على معظم رحلات الناصري الطابع العلمي، فكانت كل محطاته مليئة بالمناظرات والنقاشات العلمية.
 - أبو راس الناصري عرف بعلومه الواسعة والمتعددة بالفقه واللغة والآداب والتاريخ والتفسير.
 - مكانة الناصري في مختلف الأقطار المشرقية والمغربية جعلته يستقبل من كبار العلماء والفقهاء والأمراء.
- ومن توصيات هذا البحث:
- ضرورة البحث والتنقيب في مؤلفات أبي راس الناصري خاصة التي لا تزال مخطوطة منها.
 - عقد ندوات ولقاءات لفائدة الأجيال الصاعدة تعرف بشخصية أبي راس الناصري.
 - البحث على دور شخصية الناصري في الخارج خاصة تلك البلدان والمحطات والمراكز التي زرها.

الهوامش والاحالات:

(1) يقع جبل كرسوط غربي بلدية التاغية على بعد 8 كلم من قرية هونت إحدى بلديات دائرة سيدي بوبكر التي تقع على بعد 50 كلم من مدينة سعيدة وبالتالي من خلال هذا الموقع يرى أبا راس ليس معسكري الأصل بل سعي بهذه الكنية بسبب تواجده هناك وتعلمه.

(2) الراشدية: نسبة لمؤسسها راشد بن مرشد الفرين مولى إدريس الأول دفين زرهون بالمغرب انظر، عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1999، ص. 575.

- (3) دلائل الخيرات، أو دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار، كتاب من تأليف محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة 870 هـ، جمع فيه صيغ في الصلاة على رسول الإسلام محمد، وهو يعدّ من أشهر الكتب في هذا المجال مما جعله محط اهتمام كثير من العلماء قديماً وحديثاً.
- (4) الرملة: مدينة أسسها الأمويون، عاشت تحت راية الحكم الإسلامي في عهد العباسيين والفاطميين وغيرهم، وظلت كذلك إلى أن وقعت تحت السيطرة الصليبية، قبل أن يحررها الظاهر بيبرس المملوكي عام 1261. بعد سقوط العثمانيين وقعت الرملة تحت الانتداب البريطاني ثم الاحتلال الإسرائيلي عام 1948 والرملة هي إحدى المدن التي أقيمت في العصر الإسلامي الأموي، والفضل في إقامتها يعود إلى سليمان بن عبد الملك الذي أنشأها عام 715 هجرية وجعلها مقر خلافته. (الجزيرة نت)
- (5) هو ابو عبد الله الطيب بن محمد بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران كان احد أعلام زمانه في الحفظ والتحصيل وله الكثير من المؤلفات توفي في 1332هـ- 1812م

قائمة المصادر والمراجع:

1. بلبراوات بن عتو، (2001 / 2002)، الباي محمد الكبير و مشروعه الحضاري (1797.1779)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، الجزائر.
2. بلبراوات بن عتو، (2005)، فتح وهران المرسى الكبير في الكتابات التاريخية 1792، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر العدد 12، دار الغرب الإسلامي، وهران ص، ص، 269. 278.
3. بلعربي عبد القادر، (2017)، الرحلة الورثانية محطاتها ومصادرها المعرفية (1115 هـ- 1713 م 1193 هـ- 1779 م، مجلة آفاق فكرية، مج2017، ع. 6، ص. ص. 81-91.
4. الجيلالي عبد الرحمن (2009)، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، ج3، الجزائر.
5. حمداود بن عمر، (2003/2002)، أبو راس الناصري وكتابات التاريخ (1155- 1238 هـ) (1737- 1823 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحضارة الإسلامية جامعة وهران.
6. الزباني محمد بن يوسف، (1978)، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، نشر مهدي البوعبدلي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
7. سعد الله أبو القاسم، (1990)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
8. سعد الله أبو القاسم، (2007)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، ط3، الجزائر.
9. سعد الله ابو القاسم، (2000)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
10. سعيدوني ناصر الدين (2000)، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت.
11. الشيخ أبو عمران وآخرون، (2007)، معجم مشاهير المغاربة، منشورات حلب، الجزائر.
12. الكتاني عبد الحي الكبير، (1982)، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشجحات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
13. محمد غائم، (2005)، أبو راس المعسكر مسار عالم جزائري وإنتاجه الفكري، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، العدد 12، ص. ص. 171-202.
14. المازري أغا بن عودة، (1990)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران الجزائر اسبانيا فرنسا إلى أواخر القرن 19 تحقيق يحي بوعزيز، ط1، ج1، دار العرب الإسلامي، بيروت.
15. موصد وق خديجة، (2009)، مخطوط الابريز لابن راس الناصري المعسكري"، المجلة الجزائرية المخطوطات، جامعة وهران، الجزائر، العدد السادس، ص. ص. 195-202.

16. القايم أسماء، (2006-2007)، الرحلات الجزائرية خلال العهد العثماني الحج أنموذجا، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس
17. الناصري أبو راس، (2002)، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية ، تحقيق سليمة بن عمر ، دار الصنين للطباعة والنشر، ط1، ليبيا.
18. الناصري أبو راس، (1990)، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
19. الناصري أبو راس (2005)، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق محمد غانم، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر
20. هلايلي حنفي ، (2009)، أوراق في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر،
21. يحي بوعزيز، (2009)، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج.1 دار الهدى، الجزائر.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال وفق نظام توثيق الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA الإصدار السابع (7):
بلعربي عبد القادر. (2022). أبو راس الناصري ورحلاته المغربية والمشرقية أواخر العهد العثماني. مجلة /آفاق فكرية، سيدي بلعباس (الجزائر)، 10 (1)، ص ص 578-591 ؛ رابط المجلة

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/396>